كانا شاهدين عليهِ وهو محجوج بهما والسلام

تمَّت الرسالة والحمد لله جلَّ الحمد

وجاء في آخر الرسالة السابقة قول لفيثاغورس نلحقهُ بها كما في الاصل :

قال فيثاغورس : اذا ألقيت شهوة الاستغناء فقد استغنيت . وما اكثر من ظنَّ انَّ الفقير هو الـذي لا يملك شيئاً وانَّ الغنيَّ الذي يملـك الشيءَ الكثير وهذا فقرٌ وغنًى بالمَرَض . فامَّا الفقير الطبيعي فهو الذي شهواتهُ كثيرة وامَّا الغنيّ الطبيعي فهو الذي لا يحتـاج الى احد اعني الذي قد ملـك شهوتهُ وضبط نفسهُ . لانَّك اذا ملكت شهوتك فذاك هو الغنى الاكبر لانَّ من ملك شهوتهُ فقد استغنى عن العالم باسره . « تمَّ والحمدُ لله »

السبحة وكبار الرجال

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد خصَّت الكنيسة الكاثوليكيَّة شهر تشرين الاوَّل بعبادة الورديَّة وليست الورديَّة سوى طريقةٍ من الصلاة يكرِّر فيهـا المتعبِّد الصلاة الربيَّة خمس عشرة مرَّة يُلحقها كلَّ مرَّة بعشر مرَّات السلام الملائكي ذكرًا للاسرار الخمسة عشر الجامعة لحياة السيِّد المسيح ووالدته الطاهرة اي اسرار الفرح واسرار الحزن واسرار المجد يتألف من كلِّ قسم من هذه الاقسام الثلثة ما ندعوهُ بالسُّبحة او المسبحة

وهذه العبادة البسيطة التي اوحت بها البتول العذراء الى عبدها القديس دومنيك منشئ الرهبانيَّة الدومنيكيَّة في القرن الثاني عشر قـد شاعت في انحاء البـلاد حيثما تبسط الكنيسة الكاثوليكيَّة رواقها فأتت بثمار روحيَّة لا يفي بها احصاء وانعشت روح الايمان في كثير من الاقطار وكبحت مرَّة البـدَع وخمدت شوكة الاهواء .

وكأنَّ البتول العذراء مريم ارادت ان تؤيد هذه العبادة بمثلها في زماننا لما ظهرت في لورد للفتاة برنديت سنة ١٨٥٨ فكانت سبحة ناصعة البياض على ذراعها تتحدَّر على ثوبها البهيّ . وقد بيَّن الطيب الذكر البابا لاون الثالث عشر ببراءات متعدّدة كان ينشرها كلّ سنةٍ ما لعبادة الورديَّة من الخواصّ العجيبة لاحياء الايمان وتوطيد الفضائل في القلوب بتأمل اسرار حياة السيّد المسيح ووالدته المباركة

وهذه العبادة التي توافق خصوصاً النفوس الساذجة والدنياء هذا العالم قد وجد فيها ايضاً كبارُ رجال النصرانيّة سلواناً وقوَّة . كيف لا وفي تلاوتها ذكرى اخصّ حقائق الدين النصراني مشفوعةً باكرم واسنى مثال من شأنه ان يبعث في القلوب همّةً قعساء لطلب عظائم الامور

١ الملوك وعبادة الورديّة

شاعت عبادة الورديَّة في بلاط ملوك فرنسة فسبقوا غيرهم في ممارستها . وممّا يُذكر من ذلك انَّ اكبر ملوك تلك الدولة واعظمهم فضلاً وفضيلة القديس لويس التاسع كان مولدهُ نتيجة صلاة الورديَّة . فان والدته الجزيلة التقوى بلانش دي كستيل اجتمعت برسول الورديَّة القديس دومنيك وطلبت اليه ان يدلَّها على اقرب وسيلة لتنال من الله ابناً يكون مجد فرنسة بفضائله الدينيَّة والملكيَّة فأكَّد لها القديس انَّ الله يستجيب دعاءها اذا واظبت على عبادة الورديَّة . فرضيت بوصيَّته ولم تمرّ عليها سنة حتَّى دُقَّت لها الافراح وتباشرت فرنسة بمولد القديس لويس التاسع المخلَّد الذكر (١٢١٥) فجرى على مثال والدته في عبادتها للورديَّة وصار في كلّ اعماله قدوةً لملوك الارض واعيان الدول

وكذلك جاهر فرنسيس الاوَّل ولويس الثالث عشر بعبادتها لورديَّة البتول وتلاوة صلواتها . ولمَّا اهتدى هنريكس الرابع الى الايمان الكاثوليكيّ بعد تشيُّعه للبروتستانيَّة لم يكتفِ بممارسة فرائض هذا الدين بل اراد ايضاً ان يتقيَّد بنوافله فكان كلّ سبت يتلو الورديَّة بتمامها ويوم الاحد ثلثها اي السبحة

أمَّا لويس الرابع عشر المعروف بالكبير فانَّهُ لم يدع يوماً ينوتهُ دون تلاوة السبحة . دخل عليه يوماً احد امراء دولته على غفلةٍ فرآهُ وفي يده سبحة ذات حبوب

كبيرة وهو يردّد صلاتها . فلم يتمالك الامير من إظهار اندهاشه . فالتفت اليه الملك قائلاً : قد اخذك الاندهال اذ رأيتني اتلو السُّبحة . وانا أعدُّ ذلك فخرًا وهي نِعْمَ العادة تعلَّمتُها من والدتي التقيَّة ولو اهملتُها يوماً لخامر في الكدر لإهمالي تلك الفريضة

وقد اشتهر في انكلترَّة ادورد الثالث (١٣١٢—١٣٧٧) بحروبه وانتصاراته . وكان اعتاد ايضاً تلاوة وردِيَّة العذراء فينسب اليها مآثرهُ . ومثلهُ ملك اسبانية العظيم كرلس الخامس اتَّخذ تلاوة الورديَّة ديدناً

ولمَّا حُكم بالاعدام على ماري ستوارت ملكة اسكوتلندة بظلم الملكة اليصابات الانكليزيَّة سارت ماري الى منقع الدم بكل رباطة جأش والسبحة في منطقتها

واشتهر ايضاً بملازمة هذه العبادة ملكان آخران في پولونية وهما كزيمير الكبير (١٥٠٩—١٥٧٠) وسجسمند الثالث (١٥٦٦—١٦٣٢) وقد عُرف كلاهما بمآثر جمَّة واعمال عظيمة الشأن فضلاً عن تقاهما

٢ كماة الحروب وعبادة الورديَّة

وان قصدنا رجالاً كباراً غير الملوك ممَّن تفاخروا بأداء عبادة الورديَّة للملكة السماء لتوفُّر عددهم وضاقت المجلَّة عن حصر اسمائهم . فكلّ من لهُ إلمام بتاريخ فرنسة لا يجهل اسم ذلك الفارس « الذي لم يعرف الخوف ولم يأخذهُ لَوْم » اعني به الفارس بيار (Bayyad) فاصبح ذكرهُ مرادفاً للبسالة والكمال . فانَّهُ لم يدَع يوماً يمضي عليه دون ان يُحيي البتول بصلاة الورديَّة ويطلب من مريم بركتها جاثياً في صدوره وورودهِ وذهابهِ وايابهِ

وليس دونهُ شهرةً وحماسةً وتقًى الكندستبل حنَّة دي مونمورنسي (Anne de Monmorency (١٤٩٣—١٥٦٧) البطل الصنديد المكلَّل بتيجان الظفر في عدَّة مواقع كان يحمل على العدوّ حملات شعواء وهو يتغنَّى بصلوات السبحة فاذا هزم العدوّ عاد الى غنائهِ التقويّ

وما من احد من اهل تيرول الأ وهو يثني على اندراوس هوفر الفارس العظيم الذي خلَّص وطنهُ مع فئات من الثلاثين وهو يردّد صلوات الورديَّة وكان قبل ان يزحف على العدوّ يصرخ الى ذويهِ قائلاً : اجثوا على الركب واهتفوا بصلاة الورديَّة . فان

صوتها الشهي الليّ من صوت العيدان واذا سمعها الربّ يُسرع الى اغاثتنا

ومثلهم ابطال قندية المتطوّعون لمّا قاموا في اواخر القرن الثامن عشر في وجه الثورة الكبيرة ليدافعوا عن دينهم واستقلالهم فانهم كانوا ينقضّون على اعدائهم والسيف في يمناهم والسبحة في شمالهم فكانوا اشدّ من الاسود وأرهب من العقبان

٣ نوابغ الرجال وعبادة الورديّة

وكما كان كماة الحرب يجدون في ورديّتهم قوّة جديدة في ساحات الوغى كذلك كثير من كبار العلماء كانوا يلتجئون الى الورديّة لينالوا بواسطتها نورًا يرشدهم الى اكتشاف معلومات جديدة او يفكّ لهم مُعضلات المشاكل. فنهم كريستوف كولمبوس الذي كان يلتجئ الى مريم العذراء في كلّ اسفاره واكتشافاته وقد دعا سفينته التي مخرت به الى اميركا باسم البتول مريم وكثيرًا ما حجّ الى مزاراتها وقد اطلق اسم العذراء مريم على عدّة جزائر اكتشفها واسمها باقٍ الى اليوم. وكان يعلّم نوتيّته سلام الورديّة

نبغ في صناعتي النحت والتصوير في القرن السادس عشر ميكال انجلو والى اليوم تُرى سبحة الورديّة التي كان يتلوها في حياته معلّقةً على جدران داره في فلورنسة. وكان ميكال انجلو لا يتجشّم سفرًا الّا قدّم عليه تلاوة الورديّة. ومن مخترعاته الظريفة في صورة « الدينونة الاخيرة » التي تزين بلاط الباباوات ومعبدهم السكستي انّه رسم صورة نفسَيْن بلغت احداهما جنان الفردوس فتمدّ الى رفيقتها سبحة لتتشبّث بها فتصعد هي ايضاً الى الاخدار السماويّة

لشتهر بين نوابغ الموسيقيين رجلان عظيمان هَيْدِن (Haydn) (١٧٣٢–١٨٠٩) وموزار (Mozart) (١٧٥٦–١٧٩١). فكان الاوّل اذا اعتاص عليه ابتكار نغمة موسيقيّة لسبب ما يعمد الى الورديّة ثمّ يعود الى قلمه فيجده سيّالًا تتسارع الى فكره لشجى الانغام وارق القدود. أمّا موزار فكانت السبحة في يده احبّ جليس واطرب انيس فيندفع بوحيها الى ارخم الاصوات ويبث في قلوب سامعيه لشرف اللواطف

وكان معاصرًا لهذين الموسيقيين ثالثة آخر يدعى كريستوف غلوك (Ch. Gluck)

(١٧١٤—١٧٨٧) كان وهو غلام صغير يفتن القلوب بصوته الرخيم في كنيسة ڤينة عاصمة النمسة فمن يصغي اليه تتحدر الدموع على وجنتيه . فجاءه يوماً راهب بعد الصلاة وضمّه الى صدره شاكراً له على ما اثار في جنانه من عوامل التقى ثم اهداه سبحة وقال : اتلها يا ابني كلّ يوم فانها تفتح لك باب السعد . فجرى الغلام على هذه النصيحة ولم يزل يترقى في المناصب حتى صار كبير رؤساء الموسيقيين في بلاط ملوك النمسة . على انّه كان اذا انتهى من عمله يجيد عن ضوضاء العالم ويطلب لهُ زاوية منفردة فيتلو سبحته جاثياً على الركب . ولمّا وافته المنيّة كانت سبحة الراهب في يده تقويه على اوجاعه وتملأ نفسهُ تعزية

يبارك الارلنديون ذكرى اوكونل خطيبهم المصقع والمدافع عن استقلالهم بازاء الانكليز ظالمي وطنه منذ ثلثمائة سنة . فهذا الرجل العظيم كان بتقواه اعظم منهُ ببلاغته . فكان اذا سار الى مجلس النوّاب وهو مندوب ارلندة يمسك بيده سبحة الورديّة فيتلوها علانية فاذا رقي منبر الخطابة استنزّ ببلاغته انكلترّة كلّها

نبغ في فرنسة احد اطبّائها النطاسيين الدكتور يوسف ريكاميه (J. Récamier) (١٧٧٤—١٨٥٢) الذي طبّقت شهرتهُ الخافقة اوربّة لاسيّما بما اخترعهُ من الادوات لفحص بواطن البدن (le spéculum) فهذا الرجل العظيم الذي كان يشار اليه بالبنان حيثما سار كان اذا دُعي الى علاج مريض أعيا على غيره شفاؤهُ يلتجئ الى تلك المدرّة شفاء المرضى بتلاوة سبحتها فينسب اليها العلاجات العجيبة التي جرت على يده . فكان رصفاؤهُ اذا اثنوا عليه لعلمه وعمله يُخرج من جيبه سبحتهُ فيقول : «انّ الادوية البشريّة كثيراً ما تعجز عن شفاء العاهات . أمّا انا فاني التمس انوار الطبيب الاعظم مستشفعاً بالبتول الطاهرة فاتلو بيتاً او بيتين من السبحة ريثما ابلغ بيت المريض . فهذا سرّ ما يُنسب اليّ من العمليّات والشفاءات الغريبة »

في هذه السنة احتفلت جمعيّات العلوم في فرنسة وسواها بذكر احد نوابغ المعارف الطبيعيّة في العصر المتصرم وهو اندره ماري أمپار (A. M. Ampère) (١٧٧٥—١٨٣٦) فأقيمت الاعياد الشائقة والجلسات الرائقة لذكرى السنة المئة منذ توفّق ذلك الطبيعيّ العظيم لمعرفة سرّ المجاري الكهربائيّة والمغناطيسيّة التي فتحت طرقاً جديدة للاكتشافات العصريّة مباشرة بالتلغراف . فهذا النابغة أدّى به علمهُ الى

الايمان الحيّ . وقد اخبر فريدريك اوزانام ذاك رجل الخير العظيم ، نشيء شركات مار منصور دي پول كيف انهُ لمّا اتى الى باريس وهو في مقتبل الشباب دخل كنيسة من كنائسها فلمح قريباً من هيكلها رجلاً جاثياً على ركبتيه مستغرقاً بالصلاة وفي يدهِ سبحة العذراء فتقدّم اليهِ ليستوضحهُ فاذا هو « امير الكبير » الذي طبّق ذكرهُ الآفاق . فأثّر هذا المنظر في اوزانام اي تأثير فخرّ ساجداً وراءهُ الى ان أنهى صلاتهُ والدموع تجري على خدّيهِ . وكان من دأبهِ ان يقول بعد ذلك : « انّ مسبحة امير حاكت في نفسي واثرت فيها اكثر من جميع كتب العالم وخطب الواعظين »

وكان حقّنا ان نضيف الى ما سبق فصلاً آخر فندعوهُ « اولياء الله والوردية » الّا ان باباً كهذا لا تكفيهِ الصفحات القليلة بل المجلدات الضخمة فنفضّل الاضراب عنهُ . وانّما نذكر فقط حادثاً جرى لاحد حجّاب نابوليون الاوّل وهو الدوقة اوغست روهان شابو (Due de Rohan-Chabot) (١٧٨٨—١٨٢٣) هذا كان من اسرة عريقة في الشرف جامعاً لكل السجايا الحميدة فعرف نابوليون فضلهُ ولقّبهُ بامير لاون فكان يسير في خدمة سيّدهِ حيثما يذهب . فاذ كان الامبراطور يوماً جالساً في مسرح باريس المعروف بالاوپيرا وحولهُ كثير من الملوك الذين غلبهم وعن يمينهِ حاجبهُ وكلّهم آذان وعيون ليتمتّعوا بالرواية المعروفة « بظلّها » لحظ نابوليون انّ حاجبهُ يستر ركبتيهِ بفرو ويداهُ محجوبتان تحت الفرو دون حراك فمدّ الامبراطور يمينهُ الى الدوقة ودسّ يدهُ تحت الفرو فامسك يد حاجبهِ واذا بها سبحة الورديّة . فاحمرّ وجه الدوقة وظنّ انّ الامبراطور يُسمعهُ كلاماً سرّاً ويوسعهُ شتماً لكنّهُ قال لهُ بلطف : « يسرّني يا اوغست ان أراك قد تمكنتَ من العاب المرسح وخزعبلات الممثلين فاني اعدّك ذا قلب شهم . ولا بدّ ان تكون يوماً رجلاً ممتازاً » . ثمّ ردّ لهُ سبحتهُ قائلاً : واصلْ صلاتك فاني لا اشفلك عنها فلم يجسر لمدة من الساعين ان يسخر من الدوقة بعد استماعهم لكلام الامبراطور . امّا الحاجب المذكور فبعد وفاة زوجتهِ زهد في العالم وصار كاهناً ثمّ كبير الاقنة يزنسون ثمّ كردينالاً فمطران كنيسة فرنسة باسمى الفضائل ولاسيّما بمحبّتهِ نحو الفقراء والبائسين

ويسرّنا ان نختم هذه النبذة بما حرّرهُ احد نوابغ الكتبة في اسبانية دونوزو كورتز (Donoso Cortès) سفير دولتهِ في باريس :

« اني واثق اعظم ثقة بانّ الذي يصلّون يخدمون العالم خدمةً اجلّ من الذين يحاربون . وعلى رأيي انّ العالم في تقهقر وانحطاط لانّ الحروب فيه اوفر من الصلوات . فلو امكننا ان نستطلع اسرار الله ومكنونات التاريخ لأخذنا الدهش من عظم مفاعيل الصلاة حتى في الامور البشريّة . لا تستطيع الهيئة الاجتماعيّة ان تكون في التوازن الواجب وتنال الراحة المرغوبة الّا اذا رافقت الصلاة عمل البشر وامتزجت الهيئة الروحيّة بالهيئة العمليّة . واني لمتأكّد انهُ لو خلا العالم في يوم واحد وساعة واحدة من صلاةٍ تتصاعد الى السماء سيكون ذلك اليوم وتلك الساعة اخر أيام العالم وآخر ساعة آلكون »

القضاء في الاسلام

نظر انتقادي للشاب الاديب لويس دي برون

وقفنا على نصّ محاضرة القاها في نادي المجمع العلميّ العربي جناب عارف بك النكدي مفتّش العدليّة العام واستاذ علم الاجتماع في مكتب الحقوق بدمشق في ٢٩ تموز من العام المنصرم فنشرها بالطبع في هذا العام في مطبعة الترقّي . فاقبلنا عليها بكل شوق لحرصنا على الدروس الشرعيّة ولاسيّما الاسلاميّة التي نخوض عبابها منذ زمن ليس بقصير

وزادنا شغفاً بمطالعة المحاضرة مدارُها على مسألةٍ كنا بحثنا فيها سابقاً اعني اصول الفقه الاسلاميّ الذي كنّا وجدنا بينهُ وبين الفقه الروماني توافقاً عظيماً في امور كثيرة . فأخذنا العجب اذ رأينا صاحب المحاضرة الاديب ينكر ذلك ويخالف نتائج ابحاثنا فأحببنا أن نطّلع على ما لديهِ من البراهين . لعلّنا نُصلح بها ما غلب على ظنّنا وهماً . فوجدنا المؤلف يحصر مقالتهُ في خمسة ادلّة نعرضها تباعاً بحرفها الواحد ونبدي ما وجدنا فيها من غثّ القول وسمينه

يقول عارف بك :

« انّ القانون الروماني لم يتم وضعهُ الّا في بضعة عشر قرناً . . . إنّما القضاء في الاسلام فانهُ وان كان نضج في فترة قصيرة لم تبلغ القرنين . . . فليس يصحّ ان يقال فيهِ انهُ كمل تلك او استمدّ استمدادًا وهو قد غا على الأيام ومع الحاجة وكانت لهُ مصادر معروفة . أخذت من